بَابُ
القول في الأيمن والأعسر والأضبط
وفي كل أعسر يسر [1]

قال : فمن العُسْر : يزيد بن حذيفة الأعيسر[2] ، وهو الذى كان أسر الهذيل التغلبي فى الجاهلية ، من ولد سعد بن زيد[3] ، وكان رأس بنى تميم ، وابنه مُجَّاعة بن سعد ، وكان من وجوه بنى تميم ، وقد ولى الولايات وقاد الجيوش .

* * *

ومن العُسر ، حابس بن حبيس الأعسر الأزرقى ، وهو القائل :

وأعسرَ فى الحرب ذى تُدْرَإٍ[4] إذا الحرب ألقت لها كَلْكَلَا
تهكَّمَ فيها على قِرْنِهِ ولم ير عنها له مَعْدِلَا
فلستُ أبالى إذا ما قَتَلْـ تُ كبشَ الكتيبة أن أُقْتَلا

* * *

---

(١) فى الأصل : وفى كل أعسر وأيسر صحته كما أثبت فقد سبق هذا التعبير كما سبق تفسيره من قبل .

(٢) سماه ابن دريد فى الاشتقاق ٢٤٩ : الأعيس ، قال : والأعيس من العيس وهو من ألوان الإبل بياض تخلطه حمرة ، بعير أعيس وناقة عيساء .

(٣) فى الأصل : سعد بن يزيد وصحته كما أثبت ، فهو سعد بن زيد مناة بن تميم ، انظر الاشتقاق ٢٤٧ .

(٤) ذو تدرأ : أى هجوم على الأمور .

ومن العُسَر ، زُهير بن عمرو بن معاوية الضِّبابى[١] ، كان أولَ من خرج[٢] على أبى الجون[٣] ولقيط وحاجب بن زرارة ، وعلى ذلك الجيش أجمع يوم شِعْبِ جَبَلة[٤] ، وهو قابضٌ بيمينه على ذَنَب فَحْلٍ أعْور ، وقابض بيسارد على السَّيْفِ صَلْتًا[٥] ، وهو يقول :

أنـا الغـلامُ الأعسَرْ الخيـرُ[٦] فِىَّ والشَّرّ
والشَّرُّ فِىَّ أكثرْ

فقال : حَارَبَنِى أعسرُ وذُو نابٍ أعورُ ، ارجعوا يا بنى أسَد ، فكان ذلك أولَ هزيمتهم .

* * *

---

(١) صحة هذا الاسم : معاوية بن عبادة بن عقيل ، وذلك كما ورد فى النقائض ٦٦١ ، والعقد الفريد ٥/١٤٢ ، والأغانى ١١/١٤٠ ، والخبر التالى وارد بإفاضة فيها .

(٢) خرج عليهم : أى طلع ، وليس المقصود بالخروج هنا العصيان ، ولما كان هذا الرجل أعسر وبعيره أعور فقد تشاءموا بطلوعه عليهم ، كما ورد فى المراجع السالفة .

(٣) هكذا فى الأصل ، ولعل صحة الاسم هو ابن الجون ، ويكون المقصود إما حسان ابن عمرو بن الجون وإما معاوية بن شرحبيل بن أخضر بن الجون وقد شاركا فى هذه الحرب بجمع عظيم من كندة ، انظر النقائض ٦٥٦ .

(٤) يعد يوم شعب جبلة أحد ثلاثة أيام عظمى عند العرب ، وهى يوم الكلاب ويوم جبلة ويوم ذى قار ، أما شعب جبلة فكان بين بنى عامر ومن التجأ إليهم من بنى عبس بن بغيض وبين جموع كبيرة من قبائل العرب منهم أسد وذبيان وكندة وتميم وغثاء كثير من غثاء الناس يريدون الغنيمة ، وقد جمعوا جمعاً لم يكن في الجاهلية مثله قط ، فلم تشك العرب في هلاك بنى عامر ، إلا أن تفرق كلمة هذه الجموع وتعدد الزعماء فيها ، ثم استغلال بنى عامر لشعب جبلة التى كانت تحتمى به وحماسها ، أدى إلى إيقاع هزيمة كبيرة بتلك الجموع فقتل أو أسر زعماؤها وتشتت شملها . انظر المراجع السابقة .

(٥) الصلت : البارز .

(٦) فى الأصل : والخير وهو خطأ ولا يستقيم معه الوزن .

قال : ومن العُسَر ، زهيرُ بن مسعود بن سَلْمى الشاعر الضَّبِّىُّ ، كذلك كان يدعى .

* * *

ومن العُسر ، كَرْدَويه الأَقطع رئيسُ بطارقةِ[1] سندان وبكاكرة الفتيان ، فكان يضرب بيده اليسرى على عادته الأُولى ولم يضرب أحداً إلاَّ حَطَمه[2] ، وكان إذا ضرب قَتَل فإن لم يصب بعمُودِه الضَّرْبة سقط لأن جناحه الآخر كان مقطوعاً ، وكان محمد بن يزيد مولى المهالبة أشدَّ الناس فى فتنة سندان ، له فى كل يوم يكون فيه حربٌ أسيرٌ يأخذُه من صفِّ عدوّه عَنْوة أخْذ يدٍ ، فيضجعه ويذبحهُ والناس ينظرون إليه ، فشدّ عليه كَرْدَويه ذات يوم وثبت له محمدُ ابن يزيد فاختلفا ضربتين فضربه كَرْدَويه ضربةً خرّ منها ميتاً لم يفحص برجلٍ ولم يتحرّك له عِرق ، وكان كَرْدَويه مع فتكه وإقدامه يتشيّع ، فكان لا يبدأ بقتالٍ حتى يُبْتدأ .

قال : ومما جاء فى الشعر من المثل بضرب الأعسر ورَمْيه من قول الشاعر[3] :

كأنَّ الحَصَا من خَلْفِها وأمامِها إذا نَجَلتْهُ رجلُها خَذْفُ أعْسَرا

---

(١) البطريق : القائد من قواد الروم ، والحاذق بالحرب ، ورئيس رؤساء الأساقفة .

(٢) حطمه : كسره .

(٣) البيت لامرئ القيس ، ديوانه ٦٤ ، الشعر والشعراء ١/١٣٠ ، ونجلته : فرقته ورمت به ، والخذف : الرمى بالحصا ونحوها .

وقال شَمَّاخُ بن ضِرار[١] :

لها مَنْسِمٌ مثلُ المَحَارةِ خُفُّــهُ كأنَّ الحَصَا من خلفِهِ خَذْفُ أعْسَرَا

• • •

وقال مُزَرِّد بن ضرار فى ضيفٍ له شرب عُسًّا[٢] من لبن ، فوصَفَ خفَّته على يده وسرعة إهوائه به إلى فيه :

فواجَهَــهُ جذلانَ حتى أمَــرَّهُ بيُسرى يديه كالشمال المُخَاطِرِ[٣]

وأنشد فى صفة الفرس :

فبات يُعبِّــا فى الخليج كأنــه كُمَيْتٌ مُدَمًّى أصبغُ اللون أقْرَعُ

والخليج : المِقْوَدُ المفتول شَزْراً ، وهو ما يُفْتَل على العُسْر أو من الفَتْل القَبيلِ والدَّبير ، وكذلك قوله[٤] :

نَطْعَنُهُمُ سُلْكَى ومَخْلُوجةً لَفْنَكَ لأُمَيْنِ على نَابِلِ[٥]

---

(١) ديوانه ٣٠ ، والشعر والشعراء ١/١٣٠ ، خلق الإنسان للأصمعى ٢٠٧ ، والمنسم للبعير كالسنبك للفرس ، والمحارة : الصدفة ، والخف : مجمع فرسن البعير ، وقيل هو للبعير كالحافر للفرس .

(٢) العس : الإناء الكبير .

(٣) لم يرد هذا البيت فى ديوانه المجموع ، والمخاطر : المتراهن ، أو الذى يلعب بالمخراق يحركه يمنى ويسرى بسرعة وخفة .

(٤) هو امرؤ القيس ، انظر ديوانه ١٢٠ ، واللسان ٣/٨٤ ، والأغانى ١١/١٨٢ .

(٥) سلكى : أى طعنة مستقيمة حيال الوجه ، والمخلوجة : يمنة ويسرة ، ومنه المثل : الأمر سلكى وليس بمخلوجة ، انظر مجمع الأمثال ١/٣٤ ، وقوله : لفتك : أى ردك وعطفك ، والأمين : سهمان ، وإذا كان بطن قذة (ريش السهم) إلى ظهر قذة ، وظهر قذة إلى بطن قذة فهو اللؤام ، واللؤام من السهام أجودها ، والمعنى نحن نرد عليهم الطعن ونعيده كما ترد على من رماك بهما ، وإنما خص سهمين لذكره صنفين من الطعن ، من الطعنة السلكى والطعنة المخلوجة .

طَعْنٌ على الاستقامة وعلى العَسْرَاء ، ووَصَف الآخر صقراً لصّاً[١] ينقضُّ ويضربُ بمخلبه ، فقال :

حتى انتحى كالنَّبَطِي[٢] الأَعْسَر

* * *

قال : وليس يكونُ الولد إلّا من البيضة اليسرى ، قالوا : ولذلك قال الجارود بن أبي سَبرة الهُذَلى[٣] فى شماتته ببلال بن أبي بردة حين عُذِّب :

يَقَرُّ بعينى[٤] أنَّ ساقَيْـه دُقَّتَا وأنَّ قُوى الأَوْتَارِ فى البيضة اليُسْرَى

* * *

قالوا : فأما النَّفَسُ من المِنْخَرين جميعاً فإنه مُقَسَّم بالساعات عليهما بأعدل قسمة ، إن الإنسان ليس يتنفَّسُ فى كل حالاته من المنخرين جميعاً إلا أن يَسْتكره ذلك ، فأما إذا تَرَك الطبيعة وسُوسَها[٥] وسجيّتها فإنها تدفع النَّفَس وبُخارَ الجوفِ وتجلب رَوْحَ النَّسيم ساعةً من الأيمن وساعة من الأيسر ، وقال جهيل اليشكرى يصف تعاقب عينى الذئب إذا قَسَم الحراسةَ بينهما إذا نام :

---

(١) فى الأصل : لص وهى خطأ .

(٢) النبطى : الذى يضرب الأرض ليستخرج المياه .

(٣) هو الجارود بن أبي سبرة سالم بن سلمة الهذلى البصرى ، كان من أبين الناس حديثاً ، وكان يقول ما أمكنى والى قط من أذنه إلا غلبت عليه ، ما خلا هذا اليهودى يعنى بلال بن أبي بردة . وكان عليه متحاملا ، فلما بلغه أنه عذب حتى دقت ساقه . وجعل وتر العذاب فى خصييه قال البيت الوارد هنا فى النص وبيتين بعده ، انظر البيان ١/٣٣٠ .

(٤) فى البيان : لقد قر عينى .

(٥) السوس : الطبيعة والسجية .

وأعورَ من بعناه ماشاء مـــرَّةً وإن شاء من يسراه ما كان رَاقدا
لقد فُزْت دون العور أوسُ بوثبَةٍ فأُعْطيت نَاباًيفلقُ الصخر حَارِدا[1]

وقال حُمَيْد بن ثور[2] فى صفة نوم الذئب :

ينـامُ بإحـــدى مقْلتيـه ويتَّقى بأُخرى المنايا فهو يَقْظانُ هاجعُ

فلم يرض بما قال حُميد حتى قَسَم بينهما الحراسة على السواء ، وحُميد إنما قال هذا على المثل لا على التحقيق ، قالوا : والسِّباع هى الظاهرة عليها والآكلة لها ، وكانت البهائم هى المغلوبة والمأكولة ، وفى القياس أنَّ الصائد أرفع من الصيد .

• • •

والسباع عُسْر ، والدليل على ذلك أن سيدَ السِّباع ورئيسَها وهو الأسد كذلك ، وكذلك كل شيء صوِّر على صورته وحُمل على تركيبه ، ولو تفقدتم ذلك من سنانير البيوت والدُّورِ لوجدتموها عُسَراء ، ويدلُّ على ذلك قول أبى زبيد الطائى ، وكان بأخلاق السِّباع وعادتها عارفاً ، قال فى صفة الأسد :

فيضرُب بالشِّمال على حَشَاهُ وقد نادى فأخلفَهُ الأنيسُ

• • •

قالو : وليس الأيمن بيمينه بأشد رمية ولا أشد ذهاباً من الأعسر بيساره ، ورأينا الأيمن يتعلم الرمى بالعَسْراء فتكون رميته أشدَّ وأسَدَّ ،

---

(١) الحارد : الصلب .

(٢) ديوانه ١٠٣ ، عيون الأخبار ٨٢/٢ ، أمالى المرتضى ٢٣٠/١ .

ولم نر عَسِراً قطُّ يتعلم بيمينه الرمى ، ولو أن إنساناً عاق أوتار العود على العَسْراء لم يكن فى الأرض أيمنُ يضرب به ولا يتعاطى ذلك منه ولم يطمع فيه ، غير أن يعيدَ تلك الأوتار ، وقد كان عَلُّويَه[1] يتناول العود وأوتاره على اليمين فيضرب وهو أعسر من غير أن يُغَيِّرَه ضرباً يعجز عنه كلُّ أيمنَ فى الأرض .

* * *

قالوا : ومتى لقى فى الحرب رجلٌ أعسر رجلاً أيمنَ مع كلِّ واحد منهما سيفٌ أو عصا ، كان الأيمنُ أشدَّ هيبةً للأعسر من الأعسر للأيمن .

* * *

قالوا : وكل طفل فى الأرض فهو أعسر لا يختلفون فى هذا حتى إذا شبّوا افترقوا ، فصار منهم الأعسر والأيمن والأضبط ، ومنهم من يصير أعْسَرَ يَسَر إلاَّ فى إمساك الثَّدْى[2] ، فإن الطفل أكثر ما يمسكه باليمين .

* * *

قالوا : كلُّ بهيمةٍ فى الأرض وكلُّ سَبُع من ذوات الأربع ، فإنه إذا ربض لا يربض إلاَّ على شقِّه الأيسر يتجافى عن الشِّقِّ الذى فيه الكبدُ لقلَّة احتمال الكبد للحمل عليها ، بلا تعليم ولا تلقين ولكن بإلهام خالقها وبتعريفه لها مصالحها فسبحانه ، ومن ذلك قول إسحاق ابن دينارويه المتطبِّب لابن عبد الملك : حاجتى أن ترفع المتكأ عن يمينك وتُخْرِجَ العدس من مطبخك .

---

(١) سبق الحديث عنه فى ص ١٠٠ .

(٢) فى الأصل : الثانى بدل الثدى ، ولعل ما أثبته هو الصحيح .

قالوا : لو هرب هاربٌ من حربٍ أو سَبُع أو ما أشبه ذلك وقد ترك نفسه على سُومها ولم يستكرهْها على غير سَجِيَّتها فإن ذلك الهارب لا يُوجد إلاَّ فى الشِّق الأيسر[1] ، إلاَّ أن يخرج لسانه ، فإنه إن أخرجه من حاقٍّ[2] وَهَل الجَنَان أو من حَاقِّ الجِدِّ والاجتهاد فإنه يعدل به إلى يمينه عن شماله ، وكذلك الثور إذا هرب من الكلاب ، ولذلك قال عبدة بن الطبيب :

[مُسْتَقْبِلُ الريحَ يَهْمُو وهو مُبْتَرِكٌ]

لِسَانُهُ عن شِمَالِ الشِّدْقِ مَعْدُولُ[3]

* * *

وأنشد الأصمعى لبعض الشعراء وهو يمدحُ قوماً بخلاف أخلاق الهرب :

إذا فزعوا لم يأْخذوا عن شِمَالِهِمْ ولم يُمْسِكُوا خلف القلوبِ الخوافق

* * *

ومن النساء نساءٌ يعملن كلَّ شىء بأيمانهن غير النقاب وغير ضَرْب الدُّف .

* * *

---

(١) انظر هذه العبارة فى عيون الأخبار ٢/٦٨ .

(٢) حاق كل شىء : وسطه ، ويقال أيضا : هو فى حاق من هذا الأمر : أى فى ضيق منه .

(٣) سقط الشطر الأول من الأصل ، وورد بدله كلمتا : هو منزف ، والرواية الصحيحة كما أثبتنا ، انظر المفضليات ٢٨٢ .

قالوا : ومن العرب قبائل تدير الكأس عن اليسار ، منهم باهلةُ ابنُ أعْصُر ، وقد قال الشاعر :

وبَاهِلَ لا يُسْقَى على اليُمن كاسُها سَقَاها من المُهْل المُذَابِ مليكُها

وقد قال الشاعر فى النساء اللواتى يلبسن الثياب باليسار واليمين :

يَلُثْنَ الخز ميمنةً ويُسْرَى بِعَبْلاتٍ أناملُها طُفُولُ[1]

وشدَّت الذئاب على غَنَمٍ ناسٍ عُسُر يرمُون عن أشملهم ، فقال فى ذلك قائلهم :

الحمـــد لله الذى أرْضَانِي بمقتل السَّرْحان بعد السَّرحانِ

ماضٍ على سياسةِ العُسْرانِ[2] يرمون بالأشمل قبل الأيمانِ

* * *

وعن عمرو بن جميع ، عن ليث بن أبى سُليم ، قال : قال علىُّ ابن أبى طالب : اللحمُ من اللحم فمن لم يأكل اللحم أربعين يوماً ساء خُلُقه ، ومن ساء خُلُقه فأذِّنوا فى أذنه اليمنى . قالوا : ولم يقل فى اليُسرى .

* * *

قالوا : وأنتم لا ترضون إلاَّ بالتفصيل ، ولا من التفصيل إلاَّ بالإفراط

---

(١) العبلات : السمينة ، والطفول ، الرخصة الناعمة .

(٢) فى الأصل : ماضيا على سيا العسران ، ولا يستقيم معها الوزن فضلا عن أن كلمة سيا لا معنى لها فى هذا المقام ، فلعل ما أثبت يكون أدنى إلى الصواب .

والروايات المأثورة والأخبار الصحيحة والأحكام المستعملة ترد عليكم مذهبين بنكر[1] مقالتكم .

* * *

روى يزيد بن هارون ، عن حميد ، عن أنس ، قال : بَصُر النبيُّ صلى الله عليه وسلم بنخامة فى المسجد فحكَّها ثم قال : « إن أحدكُم إذا كان يصلِّى استقبلتْه الرَّحمة ، وكان ربُّه بينه وبين القبلة فلا يَبْزُقَنَّ أمامه ولا عن يمينه ولا عن يساره ، يفعلُ هكذا ثم بصق فى ثوبه وردّ بعضه على بعض »[2] قالوا : فلم نر النبيَّ عليه السلام قدّم يداً على يد ، ورأيناه قد ساوى بينهما .

* * *

وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، قال : قال عبد الله : لا يجعلنّ أحدكم للشيطان من صلاته جزءاً ، ألا ترى أن حتماً عليه ألا ينصرف إلاَّ عن يمينه ، فقد رأيت رسول الله عليه السلام أكثر ما ينصرف عن يساره . وهذا الحديث أشد عليكم من الأولين .

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه كان يبدأ بالميامن[3] ، فدعا علىٌّ بالوضوء فبدأ بمياسره ، وقال : لأُكذِّبنَّ حديث أبى هريرة .

---

(١) كلمتان محرفتان فى الأصل ، وهما أقرب ما يكون إلى ما رسمت ، ولم أهتد إلى صحتهما .

(٢) انظر الحديث فى صحيح البخارى ، باب الصلاة ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٩ ، وباب الأذان ٩٤ ، وباب الأدب ٧٥ ، وانظر صحيح مسلم ، باب المساجد ٥٠ ، ٥٣ ، والزهد ٧٤ .

(٣) انظر صحيح البخارى : وضوء ٣١ ، جنائز ٩ ، ١١ ، صحيح مسلم : جنائز ٤٢ ، ٤٣ ، سنن ابن ماجة طهارة ٤٢ ، مسند الإمام أحمد ٦/٤٠٨ .

قالوا : وجدنا دياتِ الأيدى والأصابع والأرجل والآذان سواء ، فإن اعتللتم بأن الكبد الشِّقُّ الأيمن والطحالَ الشِّقُّ الأيسر ، وزعمتم أن الكبد أرفعُ منزلةً من الطُّحال فالفؤاد الذى هو سيِّد الأعضاء مركب فى الجوف مما يلى اليسار دون اليمين ، وهذه أيضاً فضيلة لليسار على اليمين .

قالوا : ووجدنا فقهاءنا وعوامّنا لا يتختمون إلاّ فى اليسار ومعاقبة الخواتيم فى الأصابع ليس للخاصة فيه فضل على العامة ، فنحن لا ندعُ هذا الأمر الظاهر للرواية الشاذة .

وروى المعلا ، عن أبى بكر بن عياش ، عن أبى إسحاق ، عن صلة أو يحيى بن جارية ، عن عمار بن ياسر ، قال : رأيت النبى عليه السلام [ينصرف][1] عن يمينه ويساره ، فقد سوى بينهما .

---

(١) زيادة لابد منها السياق .

باب
ما جاء في فضل الأيمن على الأيسر

قال الأيمن: الناس كلهم يقتسمون فى هذا الباب على أربعة أقسام : أيمن ، وهو الذى يكون أكثر أعماله بيمينه ، وأعسر ، وهو الذى يكون أكثر أعماله بيساره ، وأضبط ، وهو الذى يعمل بهما جميعًا ، وأعسر يَسَر ، وهو الذى يكون استعماله ليمينه كاستعماله ليساره سواء . وكان عمر بن الخطاب أعسر يَسَر .

الأصمعى ، عن بعض رجاله ، قال : نظر أعرابى إلى عمر ثم قال للناس : ما رجل رأيته أعسر يسر لا يأخذ أحدًا إلاَّ كدّس به[1]؟ إما أن يكون خير الناس أو شر الناس .

وقد روى الناس عن الأحنف أن عمر كان أعسر يَسَر ، وقد جعل الناس كبيراً الأضبط مثل أبى عامر الأضبط[2] وهو الذى قتله مُحَلِّمٌ[3] ابن جَثَّامة أضبط الناس ، وجعلوا الأضبط بن قريع كذلك . فإن

---

(١) كدس به : زاحمه وكدس الأرض به : صرعه وألصقه بها .

(٢) اسمه الذى ذكره ابن حجر هو عامر بن الأضبط الأشجعى ، انظر الإصابة الترجمة ٤٣٥٦ ، ٦٢٧٨ .

(٣) فى الأصل : ملجم ، تحريف ، وكان محلم قد قتل عامراً الأضبط فقال: لا إله إلا الله ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ألا شققت عن قلبه ؟ » فلما مات محلم ودفن لفظته الأرض ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن الأرض لتقبل من هو شر من صاحبكم ، ولكن الله عز وجل أراد أن يعظكم . انظر الاشتقاق ٢٨٧ ، جمهرة الأنساب ١٨٣ ، الإصابة الترجمة ٧٧٤٦ .

كان اسمه أضبط فقد بطل دليلُهم ، إلاَّ أن يكون له اسمٌ غير الأضبط وكذلك القول فى البيت الذى أنشدوه فى الناقة ، حيث يقول الشاعر :

عُذَافِرَةٌ ضبطاءُ تَخْذَى كأنها فنيقٌ[1]

فلعله ذهب إلى الضباطة[2] إلا أن تكون الناقة قد كانت تقدم يدها اليمنى مرة واليسرى مرة وهذا لا يعرف .

وقد قالوا فى الفرس الأعسر الذى يغرق ألبتة من جميع الخيل ، وزعموا أنه إذا مشى قدّم يده اليسرى ، فأحسب أن الذى ذكروا من ذلك كما ذكروا لأية علّة إذا كان أعسر غرق ، ونحن نجد الأعسر من الناس سابحًا ماهرًا مثل الأيمن ، لا ندرى ما هذا إلا أنّا قد علمنا أن من الخيل ما لا يسبح وهو الذى يسمونه الأعسر ليس عندنا إلا هذا .

* * *

وجميع الحيوان إذا سقط فى الماء سبح ونجا إلاَّ الإنسان والقرد والفرس الأعسر فأمّا الإنسان فإنه بالتعلم يصير سابحًا[3]، وأما القرد والفرس الأعسر فليس إلى سباحتهما سبيل ، والحيات تسبح إلاَّ بعض الحيات فإن لها سباحةَ سُوء ، فأمّا العقرب فإنك إذا ألقيتها فى الماء

---

(١) العذافرة : الناقة العظيمة الشديدة ، وتخذى : يسترخى لحمها من السمن ، وفى الأصل : تحذى ، والفنيق : الفحل المكرم لا يؤذى لكرامته على أهله ولا يركب ، هذا وقد ورد البيت فى اللسان ١٠/٢٤٨ ولم ترد فيه كلمة ضبطاء .

(٢) أى القوة والشدة لا المعنى الآخر الآتى .

(٣) انظر عيون الأخبار ١/٦٧ .

[لم][1] ترسب ولم تطفُ ولم تتحرك ، ولكنها تبقى فى وسط عمق الماء غير زائلة من مكانها ، وهذا عجب .

* * *

وقد زعم أُناسٌ أن عبد الله بن عمرو بن العاص كان أعسر يسر ، لأنه كان يقاتل فى حرب صفين [بسيفين] وهذا لا يكون .

ومن كان يتقلد سيفين فى الحرب ولا يضرب بهما معًا بيد ولا بيدين عباس النخشبى ، وأنا رأيت رمحه ، وكان كلُّه من حديد . وكان الصُّفرى الذى قتله ابن رَاعُول أيام المبيِّضة يتقلد بسيفين ، وكان الفضل بن سهل يتقلَّد بسيفين يجعلهما كالوشاح ، وقد تقلَّد خالد بن الوليد فى يوم مؤتة عدة أسياف ، وانقطعت[2] فى يده تسعة أسياف . وكان عمرو بن معدى كرب يقول : عليكم بالقنح وإياكم والهبر فإنه[3] يقطع متن السيف . ولم يكن عمرو أعرف بذلك من خالد .

وقد يستعمل الرجل يديه جميعًا فى مواضع نحن ذاكروها إن شاء الله ، وقالت امرأةٌ ترثى[4] عُمَيْر بن مَعْبَد بن زُرَارة :

أَعَيْنِى أَلَا فابْكِى عُمَيرَ بن مَعْبَد وكان ضَرُوبًا باليدينِ وباليد

تعنى باليد السيف ، وتعنى باليدين القداح[5] ، وقرّبوا إلى حسان

---

(١) زيادة تناسب المعنى ، وفيما يلى فى الأصل : لن تطف ، ولن لا تجزم المضارع كما هو معلوم ، ولهذا فقد جعلتها لم فى هذا الموضع وتاليه .

(٢) انقطعت : أى انثلم حدها .

(٣) القنح : تناول الشئ بالسيف ، والهبر : القطع به .

(٤) هى دختنوس بنت لقيط كما فى فصل المقال ٢٨٦ ، وورد بيتها دون نسبة فى الحيوان ٦/٤٢٤ ، ٢٦٠

(٥) أى قداح الميسر .

ابن ثابت طعامًا بعد أن كُفَّ بصره ، فقال لابنه : أطعام يدٍ أو يدين ، طعام اليد الثريد وما أشبه ذلك من الحريرة[١] والعصائد والحَيْسُ[٢] والوَطِيئة[٣] والأرز والفَالُوذَج وما أشبه ذلك ، وطعام يدين كالشِّواء وما أشبه ذلك .

* * *

وقال يزيدُ بن أُسيد لغلام له وقد أتوه بأُسير اضربْ ، ولم يزده على ذلك ، فقال الغلام : بيدين أو بيد ، فقال : بيدين ، فضرب عنقه ، فأعتقه يزيد بن أسيد وزوَّجه وأدناه للذى رأى من فَهْمه وجودة استفهامه .

وقال الفرزدقُ مثل ذلك حين ضرب عنق الروى فنضا سيفه فضحك الناس[٤] :

أيعجَبُ الناسُ أنأضحكتُ خَيْرَهُمُ ... خليفةَ الله يُسْتَسْقَى به المطرُ

ولن تُقَدَّم نفسٌ قبل مِيتتها[٥] ... جمعُ اليدين ولا الصَّمصامة الذَّكَرُ

لأنهم كانوا يفعلون [ذلك][٦] إذا ضربوا الأعناق ، وقالت بنت

---

(١) الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم ، وفى الأصل : الجرير تحريف .

(٢) الحيس : تمر يخلط بسمن وإقط فيعجن شديداً ثم يندر منه نواه وربما جعل فيه سويق .

(٣) الوطيئة : تمر يخرج نواه ويعجن بلبن والإقط بالسكر ، وفى الأصل : الوطنة تحريف .

(٤) ديوانه ٣٦١ ، وكانت هذه القصة أمام سليمان بن عبد الملك ، انظر مختار الأغانى .

(٥) رواية الديوان : ما يعجل السيف نفساً .. إلخ .

(٦) زيادة يستقيم بها المعنى .

عُتَيْبة[١] بن مرداس ترثى أباها :

وكان عتيبةُ . . . . . [٢] ولا تَلْقَاهُ يَدَّخِرُ النَّصِيبَا

ضروبٌ باليدين إذا اشْمَعَلَّتْ عَوَانُ الحرب لا وَرِعًا هَيُوبًا[٣]

قالوا : كان يلحق الفارس والفارس مستخذٍ له حتَّى يجمع يديه على مقبض سيفه ثم يضربه ، لأن ذلك لا يمكن فى نفس المعركة وعند المشَاولة والمنازلة[٤]، وقالت خِرْنِق بنت هِفَّان[٥] :

لا يَبْعَدَنْ قومى الَّذِين هُمُ سُمُّ العُدَاة وآفة الجُزْرِ

الضَّاربين لَدَى أعِنَّتِهِم والطَّاعِنين وخيلُهُم تَجْرِى

ولم تُرد أنهم يطعنون بالرماح ويضربون بالسيوف ، ولكنها خَبَّرت أنهم كانوا فرسانًا ولم يكونوا رِجَالاً ولا ركبانًا .

* * *

وحدثنى حسين بن عبيد ، وكان من خاصة أبى السرايا[٦] ، قال :

---

(١) هو عتيبة بن مرداس أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، شاعر مقل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام ، مدح ابن عباس أثناء ولايته على البصرة فلم يعطه شيئاً ، فوفد إلى المدينة فلقى بها الحسين بن على وعبد الله بن جعفر فوصلاه بما أرضاه فمدحهما بقصيدة طويلة لام فى بعض أبياتها ابن عباس ، انظر الشعر والشعراء ٨٢ .

(٢) نقص بالأصل ، ولم أعثر عليه فيما بين يدى من مراجع .

(٣) اشمعلت الحرب : انتشرت وعمت .

(٤) المشاولة : رفع كل فريق السلاح فى وجه الفريق الآخر ، والمنازلة : أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربا .

(٥) هى خرنق بنت هفان من بنى قيس بن ثعلبة ، وهى أخت طرفة بن العبد لأمه ويقال إنها عمته ، والبيتان لها فى رثاء زوجها ، انظر ديوانها ١٢ ، وأمالى القالى ١٥٤/١ ، وسمط اللآلى ٩٤٨ ، والخزانة ٢٠١/٢ ، وكتاب سيبويه ١٠٤/١ ، نوادر أبى زيد ١٠٩ مع اختلاف فى الرواية .

(٦) هو أبو السرايا السرى بن منصور قائد جيش المبيضة الذين خرجوا على المأمون ، وقد سبق ذكره .

كان أبو السرايا إذا لحق الفارس لا يضربه بسيفه حتى يَجُوزَه ثم يستقبله بضربةٍ .

ويقال: قد أخذ فلانٌ فلانًا باليدين، وقال الشاعر[١] :

وإذا صنعتَ صنيعةً أتممتَها ... بيدين ليس نَدَاهُمَا بِمُكَدَّرِ

وإذا تُباع كريمةٌ أو تُشْتَرَى ... فسواك بائعُها وأنت المشترِى

ومما يحفظ مع هذين البيتين وإن لم يكن فيه ذكر اليدين قول الشاعر[٢] :

إذا لبسُوا عمائمهم طَوَوْها[٣] ... على كَرَمٍ وإن سَفَروا أَنَارُوا

يبيع ويشترى لهمُ سِـواهم ... ولكنْ بالطِّعانِ هُمُ تِجَارُ

إذا ماكنت جارَ بنى خُرَيم[٤] ... فأنت لأكرم الثَّقَلَيْن جَـارُ

وقال سُلَيم :

وذى كلبٍ تَعَادَى القومُ منه ... تَركتُ مجدَّلاً والقومُ زُورُ

جمعتُ له يَدَىَّ بذى كعوبٍ ... عشا سوآته[٥] عنى تطير

---

(١) هو ابن المولى المدنى واسمه محمد بن عبد الله بن مسلم مولى الأنصار شاعر عفيف من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية انظر مختار الأغانى ، والبيتان يقولهما فى مدح يزيد بن حاتم ابن قبيصة انظرهما مع ثالث فى معجم الشعراء ٤١١ .

(٢) الأبيات التالية دون نسبة فى البيان والتبيين ١٠٤/٣ ، وهى منسوبة لأبى الطمحان القينى فى الأشباه والنظائر ١٦٢ ، الحماسة البصرية ٢٦ ، كما نسبت فى صفحة ٧٣ منها لأبى إسحاق الخريمى .

(٣) فى البيان : لووها ، وفى الأشباه والنظائر : ثنوها .

(٤) فى البيان : تميم .

(٥) كلمتان محرفتان فى الأصل ، ورسمهما أقرب إلى ما أثبت ، ولم أعثر على البيتين فى مراجعى .

فذكر أنه طعن بيديه جميعاً ، وهذا عند أهل الحرب اليوم ، وإنما هو طعنة رجل إلا أن يكون فى حال استخذاء من المطعون وقد أمن ما وراء ظهره ، وقد قالوا فى معنى قول القائل أخذ فلان فلانًا باليدين ، قال الحارثُ بن الوليد وكان شاعراً :

ألا أبْلِغ بنى أرْوَى رسولا ... وما أرَبى إلى كَذِبٍ ومَيْنِ
فإنّى قد طلبتُ العُذْرَ منكم ... كما طلب البراءة ذُو رُعَيْنِ[1]
فَلولا اللهُ والإسـلامُ منّى ... وما قد لُفَّ بينكمُ وبَيْنى
رَحَلْنُكُم بقافيـةٍ شَرُودٍ[2] ... من الأمثال عَيْنًا غَيْر دَيْن
كأنكم وتركُكم أخـاكم ... وأخذكم المحيَّر باليَـدَيْنِ
كعاطلة أرادت أن تَحَـلَّى ... فَخَيَّرتِ الرَّصَاص على اللُّجَيْنِ

* * *

وقال الله جلّ ثناؤه : ﴿ وأصْحَابُ اليمينِ ما أصحابُ اليمين ﴾[3] ،

---

(١) ذو رعين : شريف من أشراف اليمن فى عهد التبابعة ، له قصة معروفة ملخصها أن ملكا من ملوكهم يدعى حسان بن تبان أسعد أبى كرب قد سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الأعاجم ، إلا أنهم كرهوا ذلك فأغروا به أخاه عمراً أن يقتله ، لكن ذا رعين نهاه عن ذلك ، وحين رآه مصرا على قتله أعطاه رقعة مغلقة فيها هذ ن البيتان :

ألا من يشترى سهراً بنوم ... سعيد من يبيت قرير عين
فإما حمير غدرت وخانت ... فعذرة الإله لذى رعين

وطلب أن يحتفظ له بها ، وعندما رجع عمرو بمن معه إلى اليمن انتابه الأرق وعبثاً حاول علاجه ، وصارحه الكهان آخر الأمر بأن ذلك بسبب قتله أخاه ، فانتقم ممن أشار عليه بذلك من الأشراف ، وحينما أراد أن يفتك بذى رعين طالب هذا أن يفض الرقعة التى أعطاه إياها ، فأخرجها فإذا فيها البيتان ، فتركه ورأى أنه قد نصحه ، انظر سيرة ابن هشام ١/٢٨ ، ٢٩ .

(٢) القافية الشرود : السائرة فى البلاد .

(٣) سورة الواقعة الآية ٢٧ .

وقال : ﴿ وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال ﴾[١] ثم وصف الفريقين .
وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ والسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيمينِه ﴾[٢] وقال امرؤ القيس :

وقلتُ يمين الله أبرحُ قَاعِدًا ... ولو قَطَّعُوا رأسِى لَدَيْكِ وأَوْصَالى[٣]

وقال الشاعر جميل[٤] :

حمـراء تَامكة السنام كأنهـا ... [جَمَلٌ][٥] بَهَوْدَجٍ أهله مظعونُ
جَادَت له عمرو الغداةَ يمينُـه ... كلتا يَدَىْ عمرو الغداة يمينُ[٦]
ما إن يجـودُ بمثلهـا فى مثله ... إلَّا كريمُ الخِيم أو مَجْنُونُ[٧]

* * *

وقال جبلة بن الأيهم لحسّان بن ثابت : أين أنا من النعمان بن المنذر ؟ قال حسّانُ : والله لَشمالُك خيرٌ من يمينه ، ولَقَفاك أحسنُ من وجهه ، ولأُمّك أكرمُ من أبيه .

* * *

---

(١) سورة الواقعة الآية ٤١ .
(٢) سورة الزمر الآية ٦٧ .
(٣) ديوانه ٣٢ ، وأبرح أى لا أبرح ، والأوصال جمع وصل بضم الواو ، وهو كل عضو ينفصل عن الآخر .
(٤) الأبيات التالية بدون نسبة فى الحيوان ١٠٧/٣ .
(٥) ساقطة من الأصل وقد أثبتناها من الحيوان ، وتامكة السنام : عظيمته ، والمظعون : الذى شد هودجه بالظعان وهو حبل الهودج ، جعل هذه الناقة كالجمل فى العلو ثم أضاف إليها ذكر الهودج ليزيدها به علوا ، انظر هامش الحيوان .
(٦) رواية الحيوان : جادت بها يوم الوداع يمينه ، وفى الأصل : دارت بدل جادت ، وعمر بدل عمرو ، وهما تحريف وقد أثبتنا ما فى الحيوان .
(٧) الخيم : الطبيعة والسجية ، وفى الأصل : الحتم ، تحريف .

وقال عبدُ الرحمن بن الحكم[1] فى مروان بن الحكم :

فَذَا العَرْشِ غَيِّرْ ما بِمروان إنَّنى أرَاه بمعروفِ الخلائق أعْسَرا

• • •

وقال ابن هرمة :

وكنت امرءًا لم أبْغ بَيْعَة باطِلٍ بحقٍّ ، ولم آخذ بأيمن أعْسَرَا[2]

• • •

وقال الأيمنُ تقول العامة : ما يَسْوَى فلانٌ كعبًا أعسر ، وإنما بنو فلان كِعَابُ عُسْر ، قال الشاعر :

إن كَبُرَ النَّاسُ عَنَا وإن يعْنُوا يَكْبُرْ[3]

فليس يَعْدُو خلافًا إذ قيل خالفْ تُذكَرْ

خلافَ كَعْبِ ذى دارَتَيْـ ـن فى الرأسِ أعْسَرْ[4]

• • •

قالوا : ورأينا فى الملوك الأشراف الحُولَ والزُّرْقَ والعُرْج وكذلك العلماء ، ولم نر عالمًا قط ولا ملكا أعسر ، والأعسرُ إذا اشتمل بثوبه ومشَى فكأنه مُختلّ ، ويظهر عند ذلك نقصه والتشويه الذى فى خَلْقه ، والعُسْر قبيحٌ بالرجال وهو بالمرأة أقبح ، ولم نَرَ أعسر إلاَّ حائكا أو ساقطًا نَذْلا .

• • •

(١) هكذا فى الأصل ولعل صحته عبد الرحمن بن حسان فهو الذى كان يهاجى مروان وأولاده ، وقد سبق شىء من هجائه ذاك .

(٢) لم يرد البيت فى ديوانه .

(٣) كبر فلان : عظم ، وعنا : خضع وذل .

(٤) الدارة : الدور من العمامة ، ولعله يريد أن يقول هو : خلاف كعب أعسر لا قيمة له ، ذى عمامة بدورين على رأسه ، وفى الأصل : خلاف اكشف ، ولعل ما أثبت أقرب إلى الصحة

ومرّ الأحنفُ بعِكْراش بن ذُؤَيب[١] وقد كان شهد الجمل فقُطعتْ يداه جميعًا، فلما مر به الأحنفُ صاح: يا مُخذَّل، [فقال الأحنف[٢]]: أمَا إنَّك لو كنتَ أطعْتَنى لامْتَسَحْت بشِمالك وأكلتَ بيمينك .

ألا ترى أن الشِّمال إنما هى للاستنجاء والمُخاطِ والأُمورِ المرغوب عنها، وقال الشاعر :

غُرابُ شِمَالٍ ينفضُ الرِّيشَ جائمـاً

وقال شُنَيْمُ بن خُوَيلد[٣] :

وقلتُ لسيِّدنَا ياحَكِيـ ... ـمُ إنَّك لم تَأْسُ أَسْوًا رَفِيقًا[٤]

أَعَنْتَ عَدِيًّا عَلَى شأْوِهـا ... تُعَادِى فريقًا وتُبْقِى فريقًا[٥]

أَطعتَ عَرِيبَ إبْطَ الشمالِ ... يَجُزُّ بِحَدِّ المواسِى الحُلُوقًا[٦]

---

(١) هو عكراش بن ذؤيب بن حرقوص بن جعدة بن عمرو بن النزال بن مرة بن عبيد ، من بنى تميم ، يجتمع نسبه بالأحنف فى النزال بن مرة ، كان الأحنف قد تنبأ بأنه سيصاب فى مرقعة الجمل إصابة تبقى معه ما عاش، فأصيب فى أنفه إصابة واضحة عاش بعدها مائة عام وأثرها فيه ، هكذا ذكر ابن دريد فى الاشتقاق ٢٤٩ ، أما الخبر الوارد هنا فقد ذكر ابن دريد أيضاً أنه حدث بين الأحنف ومن يدعى أبا فروان ، انظر الاشتقاق ٢٠٩ .

(٢) زيادة من الاشتقاق لم ترد هنا فى الأصل .

(٣) هو شتيم بن خويلد الفزارى ، شاعر جاهلى ذكره المرزبانى فى المعجم ٣٩٢ ، والبغدادى فى الخزانة ١٦٤/٤ ، وانظر أبياته فى اللسان ٣٦٩/١١ ، والحيوان ٥٨٢/٣ ، ٥١٧/٥ ، والبيان ١٨١/٣ ومعجم الشعراء بالرقم السابق ، وفيه أنه قالها فى معاوية بن حصن ابن بدر الفزارى .

(٤) ورد هذا البيت فى المسائل والأجوبة لابن السيد البطليوسى ٤٠ ، وقال : قوله يا حكيم هو من استعمال المدح مكان الذم كقوله تعالى : « ذق إنك أنت العزيز الكريم » وقال فى اللسان : قوله ياحكيم هزء منه، أى تزعم أنك حكيم وتخطئ هذا الخطأ وروايه البيان : يا حليم بدل يا حكيم . (٥) فى المعجم : توالى بدل تعادى ، وفى اللسان : وتنى بدل وتبقى .

(٦) فى اللسان : أطعت اليمين عناد الشمال ، وفسره بقوله : هو مثل ضربه ، يريد فعلت فعلا أمكنت به أعداءنا منا، كما أعلمتك أن العرب تأتى أعداءها من ميامنهم ، يقول : فجئتنا بداهية من الأمر ، وفى المعجم ينحى بدل يجز .

وقال الشاعر[١] :

وخَصْمٍ غِضابٍ ينفضُون رُءُوسَهُم ... أُولى قَدَمٍ فى الشَّغْبِ شُهْبٍ سَبالُها[٢]

ضربتُ لهم إبْطَ الشمالِ فأصبحتْ ... يَرُدُّ عُداةً آخرين نَكَالُها[٣]

وقال الله جلّ ذكرهُ : ﴿ والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فاقْطَعُوا أَيْدِيَهما ﴾[٤] فقطعوا اليمين وإن كان إنمّا يُسرق باليسار، وكذلك إن كان أعسر ، والجانبُ الأيسر من الدَّابَّة هو الجانب الوحشىّ ، وقولهم أمرٌ عسير من الأعسر من اليد العسراء ، وقال الشاعر :

وما تفعل فإنك حَذْلَمِىٌّ[٥] ... يمينُك حينَ تَبْسُطُها شِمالُ

• • •

وذكرتم الاتكاء على المِسَادِّ[٦] ورُبُوضَ ذاتِ الأربع على الشِّقِّ الأيسر ، وهذا حُجّة عليكم ، لأن ذلك إنما كان من الناس والبهائم صيانةً للكبد التى بصلاحها تَصْلُحُ المِعَدُ والكَرِش وأجواف السِّباع ، وهى التى تُقَسِّم الأغذية وبصلاحها تَصْلُح الطبيعة .

• • •

---

(١) البيتان دون نسبة فى البيان ٣/١٨١ .

(٢) ينفضون رءوسهم : يحركونها ، وشهب السبال : أى حمر اللحى وهم كنايا عن الأعداء ، وكان العرب يكرهون ذوى الشعر الأحمر لأن ذلك فى الغالب كان من صفات الروم وفى الأصل : إلى قدم بدل أولى قدم ، والتصحيح من البيان .

(٣) إبط الشمال : فسره الجاحظ فى البيان بقوله : يعنى الفؤاد ، لأنه لا يكون إلا فى تلك الناحية ، ورواية البيان : غواة بدل عداة الواردة هنا .

(٤) سورة المائدة الآية ٣٨ .

(٥) الحذلمى : من معانيه القصير ، والذى يتدحرج فى مشيه .

(٦) المساد جمع مسد ، وهو المنكأ المضفور من الليف .

قالوا : الجنديُّ إذا ذهبت عينُه اليمين[١] سقط من الديوان لأنَّه إذا اتَّقى بتُرسه حُجبت عينه اليسرى وهو ذاهب اليمين فيصير كالأعمى .

قال الأعسر : أين أنتم عن الحَجَّاجِ بن صَامِت[٢] قائدِ الناس يوم الأزارقة ، وهاشِم المِرْقال[٣] وفلان إنما كانوا عُورَانًا من جهة العين اليمين .

قال القوم : هؤلاء قادةٌ ، وإنما نحن فى ذكر الأتباع ، وهؤلاء إنما يراد منهم التدبير والتوقُّف والاسمُ المهيبُ الطائر فى الآفاق .

* * *

وكان كَلَّاس ومِقلاسٌ أخوين أحدهما أيمن والآخر أعسر ، فكان الأيمن يفخرُ على الأعسر فأُخذا فى سَرَقٍ فقُطعت أيديهما ، فكان الأيمن لا يستطيع أن يعتمل بيده ، وكان الأعسر يعمل بيده العسراء أعماله كلَّها على صحته وعادته ففخر الأعسر على الأيمن بذلك ، فقال الأيمن : ما علمتُ للأيسرِ فضيلة إلاَّ أن يَسرق فيؤخذَ فتُقطعَ يمينُه .

* * *

قالوا : وكان عمرُ بن الخطاب يُخْرِج الضَّادَ من شِدقه الأيسر كما يخرجه من شدِقه الأيمن ، ومن لم يكن أعسر يَسَر فإنما يُخرجه من شِدْقٍ واحد وهو الأيمن ، وهذه فضيلةٌ الأيمن على الأعسر .

* * *

---

(١) الصحيح أن يقال العين اليمنى لأن العين مؤنثة ، ولكنه يحكى لغة القوم وقولهم .

(٢) لعل صحة هذا الاسم هو الحجاج بن باب الحميرى ، وكان قد ولى قتال الأزارقة بعد مقتل الربيع الأجذم الغدانى ، وظل يقاتلهم زهاء شهر ، حتى التقى بعمر بن الحارث الراسبى فاختلفا ضربتين فماتا ، انظر كامل المبرد ١٨١/٢ .

(٣) هو هاشم بن عتبة الزهرى ، صاحب راية على فى صفين وكان أعور ، وسمى المرقال لأنه كان يرقل (يجد ويسرع) فى الحرب ، قتله الحارث بن المنذر التنوخى ليلة الجرير سنة ٣٧ هـ ، انظر تاريخ الطبرى ٢٣/٦ .

قالوا : وإنما صار هذا أعسر وهذا أيمن على قَدْر قُوَّةِ الكبد والطحال ، فإن كانت جَوانِب الكبد أكثر وأشد كانت الأعمال لليمنى ، وإن كانت جوانِب الطُّحال أكثر وأشد كانت الأعمال لليسرى .

* * *

وأمّا الذين زعموا أن الناس إنما افترقوا بعد اجتماعهم وهم أطفالٌ على العمل بالعسراء على قدر ما يجبُ على كلّ إنسان ، وعلى قَدْرِ ما اتفق فهذا القول باطلٌ ، ولم تكن هاهنا علة ولو كانت[1] علَّة ذلك التكلُّف لكانت العادةُ الأُولى أخَفَّ عليهم ، ولم يكونوا ليستكرهوا أنفسهم على شيء لا يَرَوْن فيه من الفضل ما يوازن ذلك ، ولو كان ذلك من طريق الاتفاق لم يتفق ذلك فى جميع الأُمم فى كل زمانٍ وفى كل بلدٍ إلاَّ فى الواحد الشاذِّ [وهو][2] باطل .

قالوا : فقد كان ينبغى لأهل الجنة ألاَّ يكون منهم إلاَّ أعسر يَسَر ، قلنا : هذا ما لا يَقف عليه وليس يقع على أهل الجنة اسمُ أعسر ولا اسمُ أيمن ، وليست هناك معاناةً لأن الغايات هناك تامّة ، والأُمور كائنة على غاية الموافقة وعلى تمام النِّعمة .

* * *

قالوا : ولو لم يكره الأيمن لأن يكون أعسر إلاَّ لأن الشيطان أعسر لكان ينبغى له أن يكره ذلك .

---

(١) فى الأصل : وكانت ، ولا يفهم معها المعنى .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

يزيد بن هارون ، عن هشام بن عبد الله ، عن هفّان ، عن أنس ابن مالك ، قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه ، فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله[١] » لم يقل : فإن الشيطان . . . بيساره لأن اليسار كناية عن الشمال وتهوين الأمر.

وهذا أبو داود صاحب[٢] الطيالسة ، وكان من حفاظ الحديث عند يحيى بن سعيد الأحول القطان[٣] ، وكان يحيى فوقه فى الحديث وفى الحال [الحسنة][٤] عند أصحاب الحديث . فأكل بشماله ، فقال له يحيى : بيدك اليمين عِلَّة ؟ قال : لا . قال : فهى مشغولة ؟ قال : لا ، قال : فلم لا تأكل بيمينك ؟ قال : كان فلان لا يرى بأسًا أن يأكل الرجل بيده اليسار ، قال : وما حاجتك إلى أن تصنع شيئًا من غير علة فتحتاج فيه إلى أن تصيب من يُخرج لك فيه عُذرًا ، ثم جذب يده اليمنى فأدخلها فى الصَّحْفَة[٥] .

قالوا : ومما يؤكد حال الشيطان فى ذلك ، ما رواه يزيد بن هارون

---

(١) انظر صحيح مسلم : أشربة ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، لباس : ٧٠ ، ٧١ ، سنن ابن ماجة : أطعمة ٨ ، مسند أحمد فى مواضع كثيرة ، انظر مثلا : ٨/٢ ، ٣٣ ، ٨٠ ، ١٠٦ ، ١٢٨ ، ٢٠٢/٣ ، ٢٥٤ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ .

(٢) هو سليمان بن داود بن الجارود ، مولى قريش ، أبو داود الطيالسى ، من حفاظ الحديث ، فارسى الأصل ، سكن البصرة وتوفى بها ، كان يحدث من حفظه ، يقول : أسرد ثلاثين ألف حديث ولا فخر ، ترجمته فى تاريخ بغداد ٢٤/٩ ، اللباب

(٣) يحيى بن سعيد بن فروخ القطان التميمى ، أبو سعيد ، من حفاظ الحديث ، حجة من أقران مالك وشعبة ، من أهل البصرة ، وكان يفتى بقول أبى حنيفة ، انظر : تذكرة الحفاظ ٢٧٤/١ ، تاريخ بغداد ١٣٥/١٤ .

(٤) زيادة يستقيم بها الكلام .

(٥) الصحفة : القصعة .

عن الجُرَيرى ، عن أبى العلاء ، عن عثمان بن أبى العاص أنه أتى النبىّ عليه السلام فقال : يارسول الله! إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى ، فقال رسول الله عليه السلام : « ذلك شَيْطانٌ يقال له خَنْزَب ، فإذا أحسست ذلك فاتْفل عن يسارك ثلاثًا وتعوّذ بالله من شرّه » ألا ترى أن الشيطان إنما أتاه من قِبَل يساره لأنه أعسر ، فهو يذهب إلى شكله من الجوارح ، وأنشد أبو زيد لبعض الرجّاز[1] :

قُلتُ ألم تعجب لِضرِّ الضَّيْطَرِ ... الأحول الأعْفَك ثم الأعْسَرِ[2]

حتى يُلوِّى باللحاء الأقْشَرِ ... تَلْوِيَةَ الخَاتِنِ زُبَّ المُعْذَرِ[3]

قال أبو محمد الفقعسى : ووصف فَحْل الإبل فقال :

لها لهاةٌ ورَجَاحٌ فَارِضُ ... جَذْلاءَ كالوَطْبِ لحاهُ الماخِضُ[4]

* * *

وقال أبو القماقم : كان لنا جارٌ تزوّج امرأةً عسراء فلما ماتتْ المرأةُ جعل يخطب فكان يدل على ما يسأل الناسَ عن جمالها ومالها وعفافها وحسبها وهو يسأل فيقول : خبّرونى عنها عسراءُ هى ، وخبرونى عن أمّها ، قالوا : ونحن ما عِلْمُنا بذلك ولا سمعنا بأحد

---

(١) البيتان الأولان من الرجز التالى فى اللسان ١٢/٣٥٥ ، والأخيران فى ٦/٢٠٧ ، ٢٢٥ ، والأضداد ٧١٦ .

(٢) رواية اللسان : صاح ألم تعجب لقول .. ، والضيطر : هو الضخم اللئيم العظيم الاست ، والأعفك : الأعسر وقيل هو الأحمق فقط ، وفى الأصل : الأعفل ، تحريف .

(٣) رواية المراجع كلها : فهو بدل حتى ، واللحاء هو قشر الشجرة ، والإعذار : الختان ، يقال : أعذرت الصبى أعذره إعذاراً إذا ختنته فهو معذر .

(٤) الرجاح : كبر العجز وثقله وترجحه أثناء السير ، والفارض الكبير ، والجذل : الكثير العظيم من كل شئ ، والوطب : إناء اللبن ، ولحاه : قشره ، والماخض : الذى يحرك اللبن شديداً أو يخرج زبده ، وفى الأصل : زحاج ولم أعثر لها على معنى .

يسأل عن هذه المسألة ، فكانوا يضحكون منه ويعتذر إليهم بما ابتُلى به فى جميع ولده .

* * *

قالوا : والأعسر الحارض البائر الذى خرجت أخلاقه على قدر قبح شمائله .

* * *

قالوا : وناسٌ من أصحاب الأهواءِ يدفنون الميت من يده اليسرى كيلا يأخذ كتابه بشماله ، فقال زرارة بن أعين :

فيومئذ قامت شِمالٌ بحقِّها وقامَ عسيب العين مَبْعاءَ يَخطبُ

وقال معدان الأعمى ، وهو السَّرىُّ الشُّمَيطى :

منهم جاعلُ العسيبِ إمامًا وفريقٌ يَرُضُّ زيدَ الشمال

* * *

أبو النضر ، قال : حدّثنا عكرمة بن عمّار ، عن إياس بن سَلَمة . عن أبيه ، أنَّ رجلا أكل عند النبىّ عليه السلام فأكل بشماله ، فقال « كل بيمينك » ، قال : لا أستطيع ، قال : « لا استطعت » فما وصلت بعدُ إلى فيه[1] .

* * *

وسفيان ، عن الزُّهرى ، عن أنس ، قال : قدم النبىّ صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأنا ابن عشر سنين ودخل علينا دارنا فحلبْنا له من

---

(١) انظر صحيح مسلم : أشربة ١٠٧ .

شاة داجنٍ لنا وأبو بكر عن شماله وأعرابيٌّ عن يمينه ، وكان عمرُ ناحية ، فقال : أعط أبا بكر ، فأعطى الأعرابى وقال : الأيمن فالأيمن ، قال : فهى السُّنَّة[1] .

* * *

وسعيد ، عن سلمة ، عن هشام ، عن عبد الملك ، عن إسماعيل ابن أميّة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنَّ النبيّ علية السلام دخل المسجد ويدُه اليمنى على أبى بكر ويده اليسرى على عمر ، وقال : « هكذا نُبْعث يوم القيامة » .

* * *

والمتطبِّبُون يزعمون أن النوم على شِقِّ اليمين يوهن الكبد ويثقل الكبد عن هضم ما فى المعدة ،وقد رأيتُ من لا أُحصى من الرجال أكثر نومهم على الشق الأيمن ، وما أحسُّوا بسوءٍ ذلك قط ، وقد يجوز أن يكون تأويل حديث النبيّ صلى الله عليه وسلم على أن يبدأ على اليمين ثم يتحوّل إذا شاء .

ذكر ذلك يزيد ، عن هشام ، عن محمد بن عجلان ، عن المقبرى ، عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أوَى أحدُكم إلى فِراشِه فلينْفُضْه بإزاره فإنه لا يدرى ما خَلَف

---

(١) صحيح البخارى : مساقاة ١ ، أشربة ١٤ ، ٢٠ ، صحيح مسلم : أشربة ١٢٥ ، مسند الإمام أحمد ٣/١١٠ ، ١٩٧ ، ٢٣١ ، ٣٢٨ .

عليه بعده ، ثم ليضطجع على شِقّه الأيمن ، ويقول : باسمك ربّ وضعتُ جنبي ، رب رب لدفعه[1] » .

* * *

ومن حديث حفصة بنت عمر : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوى إلى فراشه توسَّد يده اليمنى ، وقال : رَبِّ ، قِنِي عَذَابَكَ يوم تَبْعَثُ عبادَكَ[2] » .

تم كتاب البهان والعرجان والعميان والحولان
بحمد الله وعونه وتأييده ، وصلى الله على
محمد وآله وسلم

---

(١) هكذا فى الأصل ، والذى فى كتب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدرى ما خلفه عليه . ثم يقول باسمك يارب وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين » ، انظر صحيح البخارى : دعوات ١٢ ، توحيد ١٣ ، وصحيح مسلم : ذكر ٦٢ ، سنن ابن ماجة : دعاء ١٥ ، مسند أحمد ٢٣٨/٢ ، ٢٩٥ ، ٤٢٢ ، ٤٣٢ .

(٢) الحديث فى سنن ابن ماجة دعوات ١٥ ، مسند الإمام أحمد ٢٨١/٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨/٢ .